مِنْ أَجْلِ ثَقَافةٍ شِيعِيَّةٍ زَهرَائِيّةٍ أَصِيلَة مِنْ أَجْلِ نَهضةٍ ثَقَافيّةٍ حُسينيّةٍ زَهرَائِيّةٍ مُتحضِّرة

مِنْ أَجْلِ وَعْيٍ مَهْدَوِيٍّ زَهرَائِيٍّ رَاقْ

أحاديثٌ في
الفناء الفاطميّ

عبدُ الحَليم الغِزّي

منشورات موقع القمر

أحاديثٌ في
الفناء الفاطميّ

يوم السبت

بتاريخ: 13 جمادى الأولى 1438 هـ

الموافق: 11/ 2/2017 م

يا زهـــراء

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

أحاديثٌ في
الفناء الفاطميّ

عبدُ الحَليم الغِزّي

في المجالس الفاطميّة

بموكب شيعة عليّ عليه السلام/ أسن – ألمانيا

يَا زَهْرَاءُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْم

اللَّهُمَّ يَا رَبَّ فَاطِمَة بِحَقِّ فَاطِمة اشْفِ صَدْرَ فَاطِمَة بِظهُورِ الحُجَّةِ عَلَيهِ السَّلام

باقةٌ من الأسئلة الَّتي وجدتُها تَتردَّدُ بينَ أخوتي وأخَواتي وأبنائي وبناتي، قد لا يكفي الوقتُ أن أتناولها سُؤالاً سؤالاً، لكنَّني سأجيب عنها بالجُملةِ بحديثٍ أبدؤهُ من قولةِ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وآله: (رَحِمَ الله امْرَأً عَرِفَ مِنْ أَيْن وَإِلَى أَيْن).

هذه الكلمةُ الموجزة: (رَحِمَ الله امْرَأً عَرِفَ منْ أَيْن وَإِلَى أَيْن) -الحديثُ عن البدايةِ وعن النِّهاية- فَعرِفَ من أين -إنَّها نُقطة البداية- وعَرِف إلَى أين -إنَّها نُقطة النِّهاية! وأقصرُ خطٍّ يصلُ بَين النُّقطتَينِ كما هو في الهندسة والرِياضيات هو الخطُّ المستقيم، وأقصرَ خَطٍّ يصلُ بين النُّقطتين هُو هو الَّذي نُردِّدهُ في صلواتنا: إنَّهُ الصِّراطُ المستقيم! فالصِّراطُ المستقيمُ في مَظهرٍ من مَظاهره هوَ أقربُ خطٍّ يَصلُ بين النُّقطتين والزِّياراتُ الشَّريفةُ تُحدِّثُ عن ذلك، فَبِهِم فَتَح الله وَبِهِم صَلواتُ الله عليهم يختمُ الله، فما بين الفاتحة والخاتمة يمتدَّ الصِّراط المستقيم الَّذي نَطلبُ الهداية إليه، ونطلبُ الهداية فيه، ونحنُ نردِّدُ آياتِ الكتابِ الكريم في صَلواتنا.

ومن دون ذَهابٍ إلى يمينٍ أو شمال أذكرُ ما جاء مروياً عن المفضَّلِ بن عُمر، عن إمامنا الصَّادقِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه، في معنى الصِّراط المستقيم، إذْ قال: (الصِّراط صِرَاطَان، صِرَاطٌ فِي الدُّنْيَا وَصِرَاطٌ فِي الآخرة، أَمَّا الصِّرَاطُ فِي الدُّنْيَا فَهُو الإِمَامُ الَّذي مَنْ عَرَفهُ فَقَد نَجَا وَاهْتَدَى وَمَنْ أَنْكَرَهُ وَمَن جَهِلَهُ فَقَدْ ضَلَّ وَهَوى) هذا صِراطٌ نحنُ نُلامس فيضهُ في الحياةِ الدُّنيا، وصِراطٌ في الآخرة يُترجمه الإمام لنا إنَّهُ جِسرٌ ممدودٌ على جهنَّم، من وَالَى صِراط الدُّنيا مرّ عليهِ سريعاً، ومن تخلَّف عن صِراط الدُّنيا هَوى في جهنَّم وأطباقها.

كيف نعرفُ الصِّراط المستقيم؟!

بنحوٍ سريعٍ أعرضُ لكم الأقوال المختلفة الَّتي قالها النّاسُ عِبر التأريخِ في وسطنا الشِّيعيّ، وأعرّجُ على ما جاء في حديثهم الشَّريف صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم أجمعين:

يعتقدُ البعضُ أنَّ الإمام شَخصٌ من الأُمَّةِ يتميّزُ بأوصافٍ وخِصالٍ تجعلهُ في مقامٍ تتجلَّى فيهِ مواهب وقُدرات من خلالها يستطيع أن يقود الأُمَّة في طريقِ الخيرِ وأن يُرشدها إلى الهداية.

وفي ظِلِّ هذا التصوَّر يأتي تعريفُ الإمامِ بأنَّهُ رَئيسٌ في الدِّينِ والدُّنيا، كما يُعرِّفون الإمامة بأنَّها رئاسةٌ دِينيّةٌ ودنيويةٌ، وأصل التعريف من كُتُب المخالفين، بالمناسبةِ هذا التعريفُ مأخوذٌ بالنصِّ من الفكرِ والثَّقافة الشَّافعية، ونُقِل إلى كُتُبنا وإلى ثقافتنا، فالإمامةُ رِئاسةٌ دِينيّةٌ ودنيويةٌ، ومنشأ هذا من الفهمِ الأعوجِ لِمعنى الإمامة، هذا هو فهم السّقيفةِ لِمعنى الإمامة، فأقطابُ السّقيفة هكذا فَهموا الإمامة، هي رِئاسةٌ كرئاسة القبائلِ والعشائر لا أكثر من ذلك، هم هكذا فهموها إنَّها سَلطَنةٌ ومُلكٌ، فإنَّ مُحَمّداً صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم كان مَلِكاً، كان سُلطاناً، كان زعيماً، كان رئيساً قبائلياً، وكان وجهاً عشائرياً في قومه، فلمّا رَحلَ عن الدُّنيا لابُدَّ أن يُخلِفهُ من يكونَ في محلّه وفي مكانه، أن يكون رئيساً قبائلياً لا أكثر من ذلك.

وجاءت الشِّيعةُ تريدُ أن تُناقش هذا الموضوع فناقشتهُ على نفس المستوى إلَّا أنَّها أضافت أوصافاً للإمامِ جعلت من الإمامِ شخصاً مُميّزاً يتميّزُ ببعضِ الخصالِ ويتفوّق ببعضِ الأوصاف على رئيسِ قبائليَ، وهكذا نشأت ثقافة الإمامة بعيداً عن منطقِ آلِ مُحَمّد الَّذي يتجلَّى بشكلٍ واضحٍ في الزِّيارة الجامعة الكبيرة، حين نقرأ الزِّيارة الجامعة الكبيرة المعاني الَّتي أُودعت وخُزِنت في هذا النَّصِّ الشَّريف، لا تمتُّ بأيِّ صلة من الصِّلات إلى معنى الإمامة بهذا التصوّر الَّذي أشرتُ إليه قبل قليل، فإنَّ هذا التصوّر للإمامة؛ أنَّها رئاسةٌ دِينيّةٌ ودُنيوية تُضافُ إليها بعضُ الأوصاف الَّتي تجعل الإمام مُميّزاً ببعض الـمَيزات عن سائر الملوك والسلاطين ورؤساء القبائلِ والعشائر، حين نُخاطبهم على سبيل المثالِ في الزِّيارة الجامعة الكبيرة: (وَإِيَابَ الخَلْقِ إِلَيكُم وَحِسَابُهُم عَلَيكُم) ما علاقةُ هذا بفهم الإمامة أنَّها رئاسةٌ دُنيويةٌ ودينيّة؟ ما علاقة هذا؟!

إيابَ الخَلقِ وليس النّاس، إيابَ الخَلق كُلِّ الخَلق، (إِيَابُ الخَلْقِ إِلَيكُم وَحِسَابُهُم عَلَيكُم) والحديثُ هنا ليس عن يوم القيامة أبداً، إيَابَ الخلق في كُلِّ أحوالهم في كُلِّ طبقات هذا الوجود، وحِسَابُهُم أيضاً ليس مخصوصاً بيوم القيامة، يومُ القيامة يُمثِّلُ مرحلةً من مراحل الحساب لبني آدم، أمّا الحديث هُنا عن الخَلقِ عُموماً: (إِيَابُ الخَلْقِ إِلَيكُم وَحِسَابُهُم عَلَيكُم) والإيابُ والحسابُ يجري في كُلِّ ثانية، بل في ما هو أقل من الثَّانية، فأين هذا من وصف الإمامة من أنَّها رئاسةٌ دينيّة أو دُنيوية؟! أنا لا أنفي هذا الوصف، ولكنَّ هذا الوصف يكونُ في حاشية معنى الإمامة، هذا يكون في حاشية الحواشي، لا قيمة لمعنى الإمامة بهذا الوصف، وصفُ الرِّئاسة الدِّينيّة والدَّنيوية لو كان يُمثِّل حقيقة الإمامة لَمَا استطاع الأوغادُ أن يسلبوا هذا الوصف، الإمامةُ منزلةٌ رُبوبيةٌ ذاتيةٌ لهم لا يُمكنُ أن تُسلب عنهم، مثلما معنى الإنسانية لا يستطيع أحدٌ أن يسلبهُ منَّا، هل يستطيعُ أحدٌ بالقوّة أن يسلب منكم معنى الإنسانية؟ فمعنى الإنسانية ذاتيٌ فينا، والإمامةُ ذاتيةٌ فيهم لا يُمكن أن تُسلب منهم، الموضوعُ واسعٌ عريض، وأنا لا أستطيع أن أُلـمّ بِكُلِّ أطرافه في مثل هذه العُجالة.

حين نُخاطبهم في الزِّيارة الجامعة الكبيرة: (وَذَلَّ كُلُّ شَيء لَكُم) أين هذا من معنى الإمامة بهذا العنوان الضَّحل التَّافه من أنَّها رئاسةٌ دينيّة دُنيوية؟ وذَلَّ كُلُّ شيء، كُلُّ شيء، ما هو هذا نفسُ المضمون الَّذي نقرؤه في دُعاء كميل: (وَبِقُدْرَتِكَ الَّتي ذَلَّ لَهَا كُلُّ شَيء) هي هذه القدرة هي نفسها، ما الفارق بين هذه العبارة وهذه العبارة؟ ما هو الفارق؟! ونحن نُخاطبهم في الزِّيارة الجامعة الكبيرة: (وَذَلَّ كُلُّ شَيء لَكُم) وفي دُعاء كميل: (وَبِقُدْرَتِكَ الَّتي ذَلَّ لَهَا كُلُّ شَيء) ما الفارق بين العبارتين؟ مَا هي هي نفسُ العبارة، ما هو هو نفسُ المضمون،

وليكن معلوماً هذه العبائرَ لا تتحدَّثُ عن تمامِ معنى الإمامة، هذه نفحاتٌ من معنى الإمامة، الإمامةُ أوسعُ من ذلك، في ثقافة أهل البيت معنى الإمامة أوسعُ وأوسع من ذلك، هذه نفحاتٌ من معنى الإمامة، وهذه إشاراتٌ مُقتضبة بحسب ما يسنحُ به المقام، على أيِّ حالٍ، فهناك من يتصوّر أنَّ الإمامة بهذا التصوّر السّاذج، بهذا المعنى البدوي القبائلي العشائري، عَبر ما شئت من التعبير.

ومن هُنا يأتي النِّقاش؛ في أنَّ الإمام يسهو، لا يسهو؟ في أنَّ الإمام ينسى، لا ينسى؟ في أنَّ الإمام يترك الأولى، لا يترك الأولى؟ في أنَّ، في أنَّ، في أنَّ، في أنَّ الإمام يعلمُ الغيب، لا يعلمُ الغيب؟ في أنَّ الإمام يزدادُ علمهُ فهو في حالة علمٍ ناقص؟ هذه التفاصيل الَّتي تترى في ساحة الثَّقافة الشِّيعيّة تتفرّعُ على هذا الفهم.

أمّا حينما ننظر إلى هذه الجهة: (وَذَلَّ كُلُّ شَيءٍ لَكُم) كيف يذلُّ كُلُّ شيء لهم وتمرّ عليهم حالةُ نسيان؟ ما ضاع الوجودُ هنا؟! إذا كان كُلُّ شيء يذلُّ لهم، تحت سُلطتهم فكيف تمرّ عليهم حالة غفلة؟! وكيف يكونُ علمهم ناقصاً وكُلُّ الأشياء تذلُّ لهم، كيف يُمكن ذلك؟ هل يُمكن ذلك؟! سيكون الحديث حينئذٍ هُراءً من القول.

النَّخعي هذا الَّذي سأل الإمام الهادي وقال لهُ عَلِّمني يابن رسول الله قَولاً بليغاً كاملاً أقولهُ إذا زُرتُ واحداً منكم، الإمام الهادي صلواتُ الله وسلامهُ عليه عَلَّمه الزِّيارة الجامعة الكبيرة، هو طَلَب من الإمام وقطعاً سيأتي الجواب على قدر السؤال هكذا تقتضي الحكمة، هو طَلب من الإمام علِّمني يابن رسول الله قولاً بليغاً كاملاً أقولهُ إذا زُرتُ واحداً منكم، فعلَّمهُ إمامنا العاشر الزِّيارة الجامعة الكبيرة، وكما قلتُ قبل قليل الزِّيارةُ الجامعةُ الكبيرة تتحدَّثُ عن جِهاتٍ من معنى الإمامة، فمعنى الإمامة أوسع من ذلك، إذا أردنا أن نعود إلى بقيّة أحاديثهم وأقوالهم، ومع ذلك نحنُ سنقفُ في فناء هذا الدستور العقائدي، فالزِّيارةُ الجامعةُ الكبيرة هي دستورنا العقائدي، وهي قانوننا المعرفي، إذا أردنا أن نعرفهم صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين مَردَّنا إلى هذه الزِّيارة، أمّا إذا أردنا أن نعود إلى إشارات الكتاب الكريم وما جاء في أحاديثهم وفي كلماتهم من بيان أسرار الكتاب في مقاماتهم القضيّة تكون أوسع وأوسع وأوسع من ذلك.

في ظِلِّ هذا التصوّر ينشأ الفهم من أنَّ الإمام قائدٌ سياسي، وتُبنى ثقافةٌ على هذا الأساس، المصطلحات والتعاريف تكونُ أساساً تُبنى عليه تفاصيل المعرفة:

فحينما نتصوّر أنَّ الإمام مُصلحٌ اجتماعي مثلاً، سنرسمُ صورةً من التفاصيل عن الإمامِ ونحصرهُ في هذا العنوان، في عنوان الإصلاح الاجتماعي.

وحينما نضعُ سوراً للإمامِ على أنَّهُ قائد سياسي سنُنشئ عقيدةً في ظِلِّ هذا المصطلح في ظِلِّ هذا العنوان وهكذا.

أمّا القُرآن فإنَّه يفتحُ مُصطلح الإمام على المأ لا نهايات: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ كُلَّ شَيء كُلَّ شَيء، وَكُلَّ شَيء، وعليّ يقول: (أَنَا ذَلِكَ الإِمَامُ الْمُبِينُ الَّذي أَحْصَى اللهُ فيهِ كُلَّ شَيء) القُرآن هكذا يفتح الإمامة.

الثَّقافة الشِّيعيّة هل تفتح الإمامة، رموزنا الثَّقافيّة، مصادر ثقافتنا، الحُسينيّات، المنابر، الفضائيات، الحوزات، المكتبات، الكُتب، قل ما شئت، لو بحثتم بدقَّة ستجدون أنَّ مصادر الثَّقافة هذه تقرضُ مفهوم الإمامة

وتقرضُ الإمام شيئاً فشيئاً، وكُلّ مجموعة تصنعُ لها قالباً مُعيّناً وهذه مُشكلةُ الشِّيعة، مُشكلة الشِّيعة؛ الشِّيعة يُحبون العترة الطاهرة، لكنَّهم يصنعون لها قوالب، هم يصنعون القوالب، يُريدون أن يُفصِّلوا أهل البيت بحسبِ ما هم يُريدون، بحسبِ ثقافتهم المخترقة الَّتي اخترقها الفكر المخالف.

هذا هو منطق القُرآن: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ قَالَب لا حدود لهُ، كُلّ شيء، ماذا يقع تحت هذه العبارة: (كُلّ شَيء) كل شيء في عالم الشَّهادة! في عالم الغيب! ما كان! ما يكون! ما هو كائن! في العوالم السّفلية! في العوالم العلوية! ما نعلمهُ! ما لا نعلمهُ! كُلّ شيء.

هذا المضمون هو نفسهُ الَّذي أشارت إليه الزِّيارةُ الجامعةُ الكبيرة في جهة من جهاتها: (وَجَعَلَكُم بِعَرشِه مُحْدقين) جعلكم بعرشه مُحدقين، الحَدَقَة هو سوادُ العين، الحَدَقَة أو الحَدْقَة، سواد العين، وسواد العين يكون مُحيطاً بالصورة، هم عينُ الله النَّاظرة الَّتي أحاطت بهذا الوجود، حقيقتهم هكذا: (وَجَعَلَكُم بِعَرشِه مُحْدِقين) هم أوسع من العَرش.

في رواياتنا وفي أحاديثنا والقُرآن صريحٌ في ذلك: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ -في سورة البقرة في آية الكرسي- وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ في أحاديث أهل البيت من أنَّ السّماء الدُّنيا بالقياس إلى السّماء الثَّانية كَحلقة في فلاة، صحراء واسعة وفيها حلقة مثل هذا الخاتم، ما قيمة هذا الخاتم في حجمه، في مساحته، بالقياس إلى الفلاة الواسعة، فالسّماءَ الدُّنيا إلى الثانية كحلقة في فلاة، وهكذا كُلُّ سماء للَّتي بعدها، وجميعُ السّموات إلى الكرسي كحلقة في فلاة، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ والكرسي إلى العرش كحلقة في فلاة، وهم أوسع من ذلك وهم بعرشه، هم بعرشه مُحدقون، هكذا نُخاطبهم في الزِّيارة الجامعة الكبيرة: (وَجَعَلَكُم بِعَرشِه مُحْدِقين) أحدقوا به؛ يعني أحاطوا به، يُقال لحديقة البيت حديقة لأنَّها تُحيط بالبيت من جميع جوانبه، يُقالُ لها حديقة، يعني أحدقت الأشجارُ والأعشابُ بالبيت من كُلِّ جانب، وقديماً كانت تُبنى البيوت في وسط البساتين، فيكونُ البستان بأشجاره ونخيله مُحدقاً وحافّاً ومُحيطاً بالبيت، لذلك يُقالُ لها حديقة، لأنَّها قد أحدقت به من كُلِّ جانب، أحاطتهُ من كُلِّ جانب، (وَجَعَلَكُم بِعَرشِه مُحْدِقين) الحقيقة الواسعة، كما نُخاطبهم في الزِّيارة الجامعة الكبيرة: (وَأَمْرَهُ إِلَيكُم) كُلّ الأمر لكم، وأمرهُ، ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ إيَابُ الخَلقِ إليكم، هذا هو الخَلق، وأمرهُ لكم، أمر الله بكُلِّه لكم راجعٌ إليكم، هو أرجعه إليهم، (وَأَمْرُهُ إِلَيكُم).

الإمامةُ في ثقافة أهل البيت هي هذه، أمّا الإمامةُ الَّتي تسمعون عنها، تقرؤون عنها، هذه ما هي الإمامة في ثقافتهم صلواتُ الله عليهم، هذا هو منطق القُرآنِ، وهذا هو منطقُ الزِّيارة الجامعة الكبيرة، وهذا هو منطق حديثهم وكلامهم.

لا أريد أن أدخل في تفاصيل الثَّقافة الخرقاء الَّتي تُهيمن على ساحة الثَّقافة الشِّيعيّة، لا أريد أن أدخل في تفاصيل هذا الموضوع، فذلك قد يُدخلُني في تشعُّبٍ من الحديث ويطول بي المجلس، لكنَّني أيضاً أذهب إلى جهةٍ أخرى.

فحينما نتحدَّثُ عن هذا المعنى المتَّسع للإمامة وعن هذا المعنى الواسع فهل حقيقةُ الإمامة والَّتي يُمكننا أن نختصرها في هذا العُنوان، عُنوان: (الحقيقة المُحَمّديّة).

هذا العُنوانُ صحيحٌ إذا أردنا أن نبحثَ عن أصله العلمي هذا المصطلح، فقد شاع في أوساط المدرسة العرفانية الشِّيعيّة، وهم أخذوه عن ابن عربي، هذا المصطلح، مُصطلح الحقيقةُ الْمُحَمّديّة، ولكن هذا المصطلح صار معروفاً وأنا هنا لا أريد أن أقول من أنَّ هذا المصطلح ليس لهُ من أصلٍ في ثقافتنا، هُناك دعاء مرويٌ عن أبي طالب صلواتُ الله عليه، حينما أجدَبت الأرض ونَزل البلاء بأهل الحجاز ورجعوا إلى أبي طالب، هذا قبل البعثة وقبل ولادة سَيد الأوصياء، بعد مولد النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وآله ورَفَع يديه بالدُّعاء، من جُملة كلمات دعائه: (إلَهِي وَسَيدي وَرَبِّي أَسْأَلُكَ بِالْمُحَمّديّة الْمَحْمُودَة وَبِالعَلَوِيّة العَالِيَة وَبِالفَاطميّة البَيْضَاء إلَّا تَفَضَّلتَ عَلَى تهَامَة -تهامة اسمٌ من أسماء الحجاز- بِالرَّأفَة وَالرَّحْمَة) فالعنوان في أصله موجود في ثقافتنا؛ (بِالْمُحَمّديّة الْمَحْمُودَة) لكن هذا العنوانُ لأنَّهُ عنوان واضح ومعروف استعملهُ هنا كي أختصر الطريق لأجلِ بيانِ ما أُريدُ بَيانهُ.

فإذا وضعنا هذا العنوان: (الحقيقةُ الْمَحُمّديّة) وهو المعنى الأوسع والمعنى الأكمل لمعنى الإمامة، أسئلةٌ وبشكلٍ سريع كي أصل إلى الخُلاصة الَّتي أريد الوصول إليها:

- هل الحقيقةُ الْمُحَمّديّة هي الله؟ الجوابُ: كلا، هُناك من يقول ذلك، أنا أتحدَّث هُنا عن ثقافة الكتاب والعترة بحسبِ ما أفهمُها، فهل الحقيقةُ الْمُحَمّديّةُ هي الله؟ الجوابُ: كلَّا.
- هل أنَّ الله حلَّ في الحقيقة الْمُحَمّديّة؟ الجوابُ: كلَّا.
- هل أنَّ الله اتَّحدَ في الحقيقة الْمُحَمّديّة؟ الجوابُ: كلَّا، قطعاً هُناك من يقول بهذه الأقوال، أنا لست بصدد إيراد كل قول.
- هل الحقيقةُ الْمُحَمّديّةُ شَريكٌ لله؟ الجوابُ: كلَّا.
- هل كانت الحقيقةُ الْمُحَمّديّةُ في وجودها مُقارِنة لوجود الله؟ يعني هل هي حقيقةٌ قديمةٌ كَقِدَمِ الله سبحانه وتعالى؟ الجوابُ: كلَّا.
- هل الحقيقةُ الْمُحَمّديّةُ بَديلٌ عن الله؟ الجوابُ: كلَّا.
- هل الحقيقةُ الْمُحَمّديّةُ حين فوّضَها الله فصار مُعتزلاً وصارت القُدرةُ في الحقيقة الْمُحَمّديّة؟ الجوابُ: كُلَّا.

وكل هذه الأقوال الَّتي نفيتها موجودةٌ وفرقٌ على طول التأريخ الشِّيعي تقول بها، الحقيقةُ الْمُحَمّديَّةُ وُجودٌ مخلوق، والَّذي عَبّرت عنهُ الأدعيةُ الشَّريفة فعنَونتهُ بالاسمِ الأعظم: (وَبِاسْمِكَ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَعَزِّ الأَجَلِّ الأَكْرَمِ الَّذي خَلَقْتَهُ -خلقتهُ مَخلوق- فَاسْتَقَرّ فِي ظِلِّك فَلَا يَخْرُجُ منْكَ إِلَى غَيرِك) هذه خُصوصيتها، الحقيقةُ الْمُحَمّديّةُ حقيقةٌ إلهية ليست كحقائقنا، هي مخلوقةٌ، لا خُلقت كخلقنا كما في كلماتهم: (أوّل مَا خَلَقَ الله الَمَشيئَة -المشيئةُ مخلوقةٌ- خَلَق الْمَشيئَة بِنَفسهَا وَخَلَقَ الأَشْيَاءَ بِالْمَشيئَة) نحنُ خُلقنا بالمشيئة، أمّا هم خُلقوا بأنفسهم كيف لا ندري؟! أوّل ما خَلَق الله خَلَق المشيئة، خَلَقَ المشيئة بنَفسها، كيف تكون الحقيقةُ؟ كيف تكون التفاصيلُ؟ ذلك شيءٌ لا تصل إليه عقولنا، غَايةُ الإدرَاك أن أدري بأنِّي لستُ أدري، لستُ أدري،

الحقيقةُ الْمُحَمّديّةُ هي المشيئةُ الَّتي أشارت إليها الرِوايةُ قبل قليل وهي الاسمُ الأعظمُ الَّذي أشارت إليه الأدعية الشَّريفة: (الَّذي خَلَقْتَهُ -مخلوق- فَاسْتَقَرّ فِي ظِلِّك فَلَا يَخْرَجُ مِنْكَ إِلَى غَيرِك).

الحقيقةُ الْمُحَمّديّةُ هي الَّتي تعدَّدت أسماؤها وأوصافها: (أوّل ما خلق الله العَقل، أوّل ما خلقَ اللهُ العرش -العرش هنا غير العرش الَّذي هم به مُحدقون- أوّل ما خلقَ الله العرش، أوّل ما خلق الله القلم، كان الله ولم يكن معهُ شيء ثُمّ تكلم بِكَلِمة -فكانت نُوراً- النّور الأوّل، الكلمة الأولى، العقل الأوّل، القلم الأوّل، العرش الأوّل) ما يُعبَر عنهُ العرفاء والفلاسفةُ بالصّادر الأوّل هو هو نفسهُ، إنَّها هي هي، الحقيقةُ الْمُحَمّديّةُ الَّتي هي مَضمونُ معنى الإمامة، الإمامةُ في ثقافة أهل البيت هي هذه، هذه الإمامةُ عند أهل البيت، وما يتجلَّى منها في العالم الأرضي هي صورةٌ مُنعكسةٌ عن تلك الإمامة تتجلَّى بما يتناسب وهذا العالم، فالحقيقةُ الْمُحَمّديّةُ المحيطةُ بهذا الوجود هي اسمُ الله الأعظم، والاسم الأعظمُ للحقيقة الْمُحَمّديّة في الأرض نَبِيّنا وآلُ نُبِيّنا صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين.

في مثل هذه الحالة هل سيكون الإمام حينئذ قَائداً سياسياً بهذه الصورة الضيقة؟ قطعاً هو قائدٌ سياسي، ولكن هذا في حاشية معنى الإمامة، قطعاً هو مُصلِحٌ اجتماعي، قطعاً هو عالِمٌ ومُعَلِّمٌ ومُربّي، قطعاً، قطعاً، كُلّ هذه المعاني ولكن هذه المعاني في حاشية معنى الإمامة، وهذه المعاني ليست من كمالاته، هذه المعاني بسبب حاجة النّاس إليها، ألا تلاحظون أين ذَهبت الشِّيعة وأين تُناقش في أشياء هي ليست من كمالاته، هي من حاجة الخَلق وتركت الجوهر الأكبر.

(مَنْ بَاتَ لَيلَةً -كما يقول صادق العترة الأطهر- لَا يَعْرِفُ فِيهَا إِمَامَ زَمَانِه مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيّة -من بات ليلة- مَنْ بَاتَ لَيلَةً لَا يَعْرِفُ فِيهَا إِمَامَ زَمَانِه مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيّة) لا يعني أنَّهُ في لحظة الموت، لا هو يموت في كُلِّ ساعة، القُرآن يُبين هذا المعنى ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ -من هو هذا الميت بحسب أحاديث أهل البيت؟ هذا الميت هو الَّذي لا يعرفُ إمامهُ فأحييناه بمعرفة إمامه، هذا الميت يسير، نفس الأوصاف لهم قلوبٌ لا يفقهون، لا يعقلون بها، لهم آذانٌ لا يسمعون بها، هذا هو الميت- أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ جعلنا لهُ إماماً هذا النور الَّذي يمشي به في النّاس كما تقول كلماتهم الشَّريفة في بيان معنى هذه الآية.

فإمامنا الصّادق هنا حين يقول: (مَنْ بَاتَ لَيلَةً لَا يَعْرِفُ فِيهَا إِمَامَ زَمَانِه مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيّة) هذه الميتةُ تتراكم يوماً بعد يوم مُتَّصلة، ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً﴾ نفس المضمون، ليس الحديث عن الميتة أو الموت الَّذي يخرج به الإنسان من الحياة الدُنيوية.

هذه نفحةٌ مُختصرة مُوجزة مُلخَّصة يَسيرة لمعنى الصِّراط المستقيم، الصِّراطُ المستقيم في ثقافة أهل البيت عُنوانٌ خاصٌ بأمير المؤمنين، إذا ما أمسكت بالكتاب الكريم، بالمصحف تتبّع كلمة الصِّراط المستقيم من أوّل سطرٍ في القُرآن إلى آخرِ سطرٍ، أينما وجدت الصِّراط المستقيم ذلك هو عليّ صلواتُ الله وسلامهُ عليه، وهذا التعبير تعبير على نحو الحقيقة، مثل ما تُخاطب الإمام الحُجّة صلواتُ الله عليه في دعاء النَّدبة: (يَابْنَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيم) هذا تعبير حقيقي، أنتَ تُخاطبهُ تنسب هذا الابن إلى أبيه، وأبوه هو الصِّراط المستقيم، ليس التعبير هنا تعبير مجازي، ولا تعبير على نحو الكناية أو الاستعارة سمِّ ما شئت من فنون البلاغة والأدب،

هذا تعبير حقيقي، الصِّراطُ المستقيم هو اسمٌ خاصٌ بعليّ، إذا استعمل في معنىً آخر ذلك هو الاستعمال المجازي، بالضَّبط بعكس الطريقة الَّتي يُفسَرُ فيها علماؤنا، راجعوا تفاسير علمائنا حين يأتون إلى معنى الصِّراط المستقيم يقولون: هو صراطُ الشَّريعة الواضح الَّذي إذا ما سار فيه الإنسان، هذا التعبير تعبير مجازي، بالضَّبط يعكسون المطلب يقولون: دلالته على عليٍ دلالة ثانوية، وإلَّا معنى الصِّراط المستقيم هو هذا، القُرآنُ والزِّياراتُ، راجعوا زيارات أمير المؤمنين في مفاتيح الجِنان ستجدون هذا المصطلح في كُلِّ زياراته تُسلِّمون عليه: (السَّلَامُ عَلَيكَ أَيُّهَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيم) كما تقول له: (السَّلَامُ عَلَيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِين) وهو اسم خاصٌ به أنتَ تُخاطبهُ: (السَّلَامُ عَلَيكَ أَيُّهَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيم) كما تُخاطبهُ: يَا عَلِيّ، تُخاطبهُ بأنَّهُ الصِّراطُ المستقيم، وهذا المعنى يتجلَّى في إمام زماننا صلواتُ الله وسلامهُ عليه بقدرِ ما نلتصقُ بهذا الصِّراط المستقيم فإنَّنا حينئذ سنعرف من أين وإلى أين، (رَحِمَ اللهُ امرأً عَرِفَ مِنْ أَيْن وَإِلَى أَيْن)..!! بقدر ما نلتصقُ بهذا الصِّراط المستقيم كما قُلت حتَّى في الهندسة فإنَّ الصِّراط المستقيم، فإنَّ الخطَّ المستقيم، هو أقصرَ خطٍّ يصلُ بين نقطتين، وهو الطريقُ الآمن، بقدرِ ما نلتصقُ بهذا الصِّراط المستقيم بقدرِ ما نستطيع أن نعرف من أين وإلى أين.

في كلماتهم الشَّريفة صلواتُ الله وسلامهُ عليه أجمعين، إمامنا الصَّادق يقول لأصحابه، لأشياعه: (إِذَا وَصَلَت إِلَى هُنَا) يعني إذا وصلت الروح في حالة النَّزع الأخير ستعرفون فضل ولايتنا حينئذ هناك، هُناك من كان مُلتصقاً بهذا الصِّراط المستقيم تتجلَّى لهُ المعاني هُناك، ﴿كَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.

هذا الصِّراط المستقيم لهُ ظهورات، لهُ صُور، هذه الظهورات والصُّور والرموز والإشارات هي هذه عباداتنا، العبادات، ما جاء في كلماتهم من أنَّهم صلاة المؤمنين وصيامهم، هذه العبادات هي صُورهم، هذه صُور، ليس من الأدبِ أن تَحترم إنساناً وتدوس على صُورته، الصُّورة الفوتوغرافية بحذائك مثلاً، أو تضع هذه الصُّورة في مكانٍ ليس لائقاً، إذا كنَّا نلتصقُ بالصِّراط المستقيم علينا أن نُقدِّس هذه الصُّور، بقدر ما نستطيع، علينا أن نحترم هذه الصُّور، الصَّلاةُ صورتهم، والصِّيامُ صُورتهم، والحجّ صُورتهم، وسائر التكاليف، هذه صُورهم، أمير المؤمنين هو الَّذي يقول: (أَنَا صَلَاةُ الْمُؤْمِنِين وَصِيَامُهُم) إمامنا الصَّادق هو الَّذي يقول: (نَحنُ الصَّلَاة فِي القُرآن) وسائر التفاصيل الأخرى، احترامُ هذه الصُّور وهذه الرموز هو جُزءٌ من احترامنا لهم صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين، الإخلالُ بها إخلالٌ بالأدبِ، الإخلالُ بآداب أهل البيت كُلّ التفاصيل الَّتي وَرَدت عنهم هو إخلالٌ بالأدب معهم صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين.

ومن هنا جاء في كلام إمامنا الرِّضا صلواتُ الله وسلامهُ عليه: (من أنَّ الإِمَامَة أُسّ الإِسْلَام النَّامِي وَفَرْعُهُ السَّامِي) فالإمامةُ هي الأُسّ، هي الأساس، هي الأصل، وهي الفرع، نفسُ المضمون الَّذي أشرتُ إليه؛ من أنَّ الإمامة هي الحقيقةُ المُحَمّديّةُ الواسعةُ، وهذه العباداتُ والتكاليفُ فروعها، فالإمامة أُسّ الإسلام النَّامي وفرعهُ السّامي، هذه هي عقيدةُ أهل البيت، أمّا هذا الشائع في الثَّقافة الشِّيعيّة أُصول الدِّين خمسة، هذا جاءنا من الأشاعرة والمعتزلة وأتحدَّى أي أحد في هذا المكان خارج هذا المكان أن يأتيني بآية أو رواية واحدة تقول: إنَّ أصول الدِّين خمسة، دائماً أقول هذه الكلمة على الفضائيات أقول هذا الكلام في كُلّ مكان، صار أكثر من ثلاثين سنة وأنا أقول هذا الكلام، هذا التقسيم أصول الدِّين خمسة وفروع الدِّين والله ما هو من أهل البيت،

لا علاقة لأهل البيت بهذا الكلام، هذه عقيدة الأشاعرة، الأشاعرة جعلوا أصول الدِّين ثلاثة: التوحيد، النُبَوّة، المعاد، فجاء المعتزلة فأضافوا إليها العدل، وجئنا نحنُ، جاء علماؤنا فأضافوا إليها الإمامة، دُونكم الكُتُب، دُونكم المكتبات، راجعوا المصادر، ستجدون هذا الكلام حقيقةً ناصعةً واضحة، وكلمةُ إمامنا الرِضا واضحة الَّتي أشرت إليها قبل قليل: (الإِمَامَةُ أُسّ الإِسْلَام النَّامي وَفَرْعُهُ السّامي) هذه هي الإمامة، فمن أراد أن يعرف إمام زمانه عليه أن يبحث عن مصادرِ معرفته في ساحة الكتابِ والعترة، لا في ساحة شُحنت بالثَّقافة المخالفة لأهل بيت العصمة، من أراد أن يعرف إمام زمانه عليه أن يعرف إمام زمانه من نفسِ هذه العُيون الصّافية لا من العُيون الكدرة.

أمير المؤمنين حدَّثنا عن نوعين من العيون:

عن عُيون صافية هي عيونهم!

وعن عُيون كَدِرة يفرغ بعضها في بعض من القذارات والأوساخ!

فمن أراد أن يعرف إمام زمانه عليه أن يعرف إمام زمانه من هذه العُيون الصّافية، وإلَّا سيموتُ ميتةً جاهليةً مُتراكمة، لأنَّ الَّذي يعرف إمام زمانه من هذه العُيون الكَدِرة فهو لا يعرف إمام زمانه فَيَبِيتُ لَيلَهُ ويَقضي نهارهُ لا يَعرِفُ إمام زمانه، (وَمَنْ بَاتَ لَيْلَةً لَا يَعْرِفُ فِيهَا إِمَامَ زَمَانِه مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيّة) من يتغذَّى على هذه العُيون الكَدِرة هو يزدادُ ميتةً جَاهليّة يوماً بعد يوم، وساعةً بعد ساعة، وهذا هو منطقهم صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين.

قَالَ سُلَيمٌ، قُلتُ يَا سَلْمَانُ هَلْ دَخَلُوا وَلَم يَكُ اِسْتِئْذَانُ

دخلوا على بيتِ فاطمة..

فَقَالَ إِي، إِي، إِي وَعِزَّةِ الجَبّارِ لَيسَ عَلَى الزَّهْرَاءِ مِن خِمَارِ
لَكِنَّهَا لاَذَت وَرَاءَ البَابِ رِعَايَةً لِلسِّتْرِ والحِجَابِ
فَمُذْ رأَوْهَا عَصَرُوهَا عَصْرَة كَادَت بَروُحي أنْ تَمُوت حَسْرة

في بعضِ الرِوايات أنَّهُ وضع ظهره على هذا الجانب ووضع رِجله الثَّانية على الباب ودفعها بأشدِّ ما يُمكن أن يُدفع..

تَصِيحُ يَا فِضَّةُ اسْنِدِينِي فَقَد ورَبِّي قَتَلُوا جَنِينِي
والبَابُ والجِدَارُ والدِّمَاءُ شُهُودُ صِدقٍ مَا بِهِ خَفَاءُ

اللَّهُمَّ يَا ربَّ الحُسينِ بِحَقِّ الحُسَين اِشفِ صَدرَ الحُسَين بِظُهُورِ الحُجَّةِ عَلَيه السّلام..

أَسْألكم الدُّعاءَ جَميعاً..

وصلَّى الله على سيَدنا ونَبيِّنا مُحَمَّدٍ وآلهِ الأَطيَبِين الأطهرين..

وفي الختام:

لابُدّ من التنبيه إلى أنّنا حاولنا نقل نصـــوص المجلس كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل المجلس بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع القمر.

مع التحيات

الـمُتابَعة

القمر

1438هـ

2017 م

أحاديثٌ في الفناء الفاطميّ - ألمانيا: المجلس الثالث ... متوفّر بالفيديو والأوديو على موقع القمر
www.alqamar.tv